بالشجاعة والاقدام . واسراء العشيرة المكرَّمة . وفرسان القبيلة المعظَّمة . وضراغم الكفاح والهياج . وغمام المجتاح والمحتاج . بدورٌ تشرق اذا دجت ظلماء المعامع . وسماء نجومها الاسنَّةُ اللوامع . اربعة كالرياح والعناصر (١) . تُعقد على محبتهم القلوب قبل الخناصر . فلِحَسَبهم العزّ المكين . ولِمَجدهم الفتح المبين . ولِيُوسفهم الصلاحُ حليةٌ . ولِسُلَيمانهم الشرف امنيَّةٌ وبغيةٌ . (٢ Kings 7) ثم انشد :

اربعةٌ تحكي الربيعَ نضرةً تنظرُ فيهم كلَّ معنىً رائعِ
مثل نجوم الأفقِ من مُشرقٍ وزاهرٍ ونيّرٍ ولامعِ
يُهدى بها طوداً ويُستقى بها نوءُ الُنى لطائحٍ وطامعِ
فالغربُ جسمٌ والحسينُ روحهُ وهم لذاك الجسمِ كالطبائعِ

(ستأتي البقية)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثالث عشر

في القاتل

بعد ان اقفل نسيب باب كوخه على فاضل اخذ يتمشَّى على مَهَل والسكينةُ لائحة على وجهه ويداهُ وراء ظهره كرجل فارغ البال راضٍ عمَّا صنع . ولكن هل كان في الحقيقة كما تظاهر وهل كان يحقّ لهُ ان يبكّت فاضلًا على اختلاس بعض شذور من الذهب ؟ وسنرى في ما يلي من تمام القصَّة الجواب على هذين السؤالين

ومن غرائب الوقائع أنَّ رجلًا غريباً كان نزل قبل ذاك بزمان مديد في مدينة نيويرك وكان لابساً برنيطة كبيرة وبنطلونًا قصيرًا ورداء قصير الكمّين ايضًا وكان الارتباك باديًا في مشيته وسائر حركاته ممَّا يدلّ على أنهُ كان حديث عهد بتلك الملابس وأنهُ لم يألفها في وطنهِ . وما كاد يطأ ارض نيويرك حتى توجه الى سان فرنسيسكو حيث لم يعُد يسمع لهُ ذكر في تلك المدينة الحافلة باصحاب الاشغال

---

(١) جاء في حاشية الكتاب ما لفظهُ : « وربَّما كان قول النزّي هذا بعد وفاة علاء الدين علي ابن سعد الدين لانَّ الاخوة المذكورين خمسةٌ »

لكنَّها صدرت في ذات يوم جراند سان فرنسيسكو معلنةً في حوادثها المحلية خبر اقتران ميس جنني اولري بالمستر جون نسيب شريك السير جون اولري احد اصحاب المناجم الغنيَّة في كاليفورنية وأخبرت ان المستى «واين» احد رعاة البروتستان هو الذي رأس عقد القران والقى خطاباً مناسباً للمقام وان الحضور كانوا من نخبة القوم. الى غير ذلك من الاقوال

ولم يخطر وقتئذٍ على بال أحدٍ ان هذا الرجل المتنطس في ملابسه المتظاهر بالثروة واليسار هو عين ذلك الغريب المسكين الذي نزل في مدينة نيويورك من نحو خمس عشرة سنة مضت. والحقيقة هي أنهُ نسيب بنفسه الذي اتى من لبنان يلتمس الرزق فاصاب حظاً في اقلّ من عشر سنوات. اما كيف وصل الى ما وصل اليه فهو من الاسرار التي لم يتعمَّد احد كشف الحجاب عنها. فان عادة الناس انهم اذا شاهدوا لمعان الذهب خرُّوا سجوداً لجامعه وقلَّما يسألون عن سبب غناهُ

وغاية ما كان معروفاً من أمر نسيب هذا انهُ اشترك مع السير جون اولري على اثر توفيقهِ واكتشاف بعض المناجم الجديدة وان السير جون اولري توفي بعد ذلك بمدة وجيزة فورث نسيب غناهُ بما انهُ كان صهرهُ مقترناً بابنتهِ

وبينما كان نسيب في مساء يوم اقترانه يقلب بعض اوراقهِ ودفاترهِ اذ امتُقع لونهُ بغتةً وتقطَّب جبينهُ ولكنَّهُ تجلَّد حتى لا يظهر عليهِ شيء من التأثر لان قرينتهُ كانت هناك تحادثهُ. فطوى الورقة التي وقع عليها بصرهُ وحمل الدفتر الذي كانت فيهِ واستأذن من امرأتهِ في الذهاب الى غرفتهِ. وكان يصعد السلم بسرعة غريبةٍ فلمَّا انتهى الى الغرفة أقفل بابها وتنهَّد تنهُّد من زالت عنهُ ضيقة عظيمة وقال «إنني اتعجَّب من بقاء هذه الورقة الملعونة هنا وكنت أظن اني قد أتلفتها مع سائر الاوراق التي تشبهها ولو وجدها احد غيري ترى ماذا كان يحلّ بي. كلَّا اني قد اتخذت كل الاحتياطات الممكنة فلم يكن من شاهدٍ غيري». ثم انهُ مزَّق الورقة إرباً إرباً واحرقها قطعةً قطعةً على ضوء الشمعة

ولمَّا أشعل آخر جزء منها قال: «ها قد قُضي الامر... لا بل انهُ قد طلع نجم سعدي الآن. فيجب على حميَّ (ابي امرأتي) ان يترك لي المناجم والَّا دبَّرت لي طريقة تعود عليهِ بالوبال. اما ابنهُ «روبر» فلا أخشى منهُ بأساً فانهُ بهيمة بصورة انسان». ثم انهُ

نظر الى وجههِ في المرآة ليتأكَّد زوال كل تاثيرٍ بادٍ على محيَّاهُ وفرك يديه ونزل الى قاعة البيت

ولم يعلم احد على سبيل الاطلاق ماذا كانت تتضمَّن تلك الورقة بل كان نسيب وحدهُ يعرف ذلك وبعد ان اتلفها لم تخرج من فيهِ كلمة او اشارة متعلقة بهذا الامر

ثم ان نسيباً اخذ كعادته يهتمّ باشغالهِ المألوفة تارة يذهب الى المناجم لاجل حراسة الفعلة وتارة يعود الى سان فرنسيسكو لاقامة مدَّةٍ عند امرأتهِ. وكان في بعض الاحيان يذهب الى نيويرك متى اقتضت ذلك الاشغال. وفي احد اسفارهِ اليها عثر على فاضل ابن وطنهِ وانقذهُ على ما سلف الخبر بعد ان كان على شفا الموت. لكن فاضلاً المذكور لم يحفظ لهُ الجميل فخانهُ في ما استخدمهُ بهِ ولم يكتفِ بسرقة شذور الذهب من منجمه بل تجاسر ايضاً على شتمهِ واهانتهِ. وكان في وسع نسيب ان يشكوهُ فيُنفذ فيهِ قانون المناجم في الحال ويُشنق بلا رحمةٍ. ولكنَّهُ لم يفعل لانهُ كان محتاجاً اليهِ وعامداً على استخدامهِ كآلةٍ في سبيل مصالحهِ

ولم يكن فاضل ليقدر على البقاء في مناجم « مكس ويل كريك » بعد الحادثة التي جرت بينهُ وبين نسيب بحضور كل الفعلة الذين يشتغلون في المعادن وكان نسيب قد أسف على هربه ولذلك شدَّ ما كان فرحهُ لمَّا رأى أنَّ الصدفة ساقتهُ الى باب ذاك الذي هرب من وجههِ. نعم انهُ كان قد استشاط غيظاً عليهِ واكثر من تهديدهِ بيد انَّ غضبهُ باخ بعد قليل ولم يعد يشتهي في تلك الساعة المتقدّمة من الليل انفاذ حكم في فاضل لأنَّهُ كان صاحب عواطف انسانيَّة

ولما كانت قد سكنت الزوبعة وقتئذٍ خرج نسيب لزيارة المناجم وكان نهر « مكس ويل » قد تعاظمت مياههُ بما وقع من الامطار الغزيرة وسُمع لجريه صوت عظيم. وكانت اشعَّة القمر البيضاء قد اخذت تخرق الغيوم مفضضةً رؤوس الاشجار وملألئةً نقط المطر التي ما زالت متعلقة على الاغصان السوداء

اما الارض فكانت مترطبة كمرآةٍ صقيلةٍ تعكس نور كوكب الليل. وكان النهر جارياً بسرعة ومياههُ حاملةً لجذوع الاشجار او قطع الالواح وما شاكلها

فبعد ان استنشق نسيب نسيم الليل اللطيف رجع ساكن الجأش متوجّهاً الى مقرّهِ وكانت ناصية الليل قد اوشكت ان تشيب واوَّل خاطر خطر لهُ ان يُعيد فاضلاً

للاشتغال في المناجم كما كان قبلاً موطناً نفسه ان سجنهُ تلك المدّة ولو قصيرةً كافٍ لكسر حدَّتهِ وحملهِ على الطاعة. ولكنهُ بينما كان عائدًا في الطريق وحدهُ اذ سمع صوت غراب ينعق على شماله فتقهقر قليلاً متشائمًا بصوتهِ المُنكر فلم يلبث النعيق ان انقطع. فهزَّ حينئذٍ كتفَيهِ ومشى في سبيلهِ قائلاً: انهُ لَعارٌ على مثلي ان يتطيَّر بصوت غُرابٍ كما تفعل العجائز. الَّا انَّهُ ما خطا خطوتين حتى سمع النعيق ثانية فوقف منصتاً فلم يسمع غير دويّ مياه النهر وحفيف الريح بالاغصان. ثم انهُ استأنف السير فسمع الغراب ينعب ثالثًا. وكان نور القمر اذ ذاك مشرقًا على برك المياه ويعكس فيها الوانًا حمراء حتى يظنّ انَّها بُرَكٌ من الدم. فعند هذا المشهد علا الاصفرار وجه نسيب وارتعشت يداهُ فاخذ يفرك جبهتهُ كانهُ يريد ان يطرد منظرًا مرعبًا يخيفهُ ثمَّ اسرع الخطى نحو منزلهِ. فما صدق ان وصل الى الباب وفتحهُ واذا بفاضل المسجون في داخلهِ هجم عليهِ كالذئب المفترس وامسكهُ بعنقهِ وصرخ فيهِ قائلاً: « تتهمني اني سارق كلاَّ انت السارق لا بل انت قاتل ولقد كنت تريد ان تسلّمني الى الحكومة أمَّا الآن فانا اسلّمك اليها ». فامتقع لون نسيب ووقف مبهوتًا حائرًا كأنَّهُ رُمي بصاعقةٍ (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب تاريخ الفيوم وبلادهِ

لابي عثمان النابلسيّ الصفدي الشافعي

طُبع بالقاهرة في المطبعة الاهليَّة بساعي الدكتور ب. موريتس سنة ١٨٩٩ وعدد صفحاتهِ ٢١٠

هذا الكتاب شاهد جديد على همّة مناظري الكتبخانة الخديويَّة عمومًا والدكتور ب. موريتس خصوصًا بتوسيع نطاق العلوم العربية (راجع المشرق ١: ١٣٨ و ١٨٩ — ٢: ٤٢). عاش مؤلفهُ في اواسط القرن السابع للهجرة استكتبهُ السلطان صالح نجم الدين أيوب ثم امرهُ بالنظر في بلاد الفيوم واعمالها سنة ٦٤١هـ (١٢٤٣—١٢٤٤) فصنَّف بعد استقراء جهاتها كتابهُ هذا ليُطلع السلطان على احوالها وهو يقسم الى عشرة ابواب استوفى فيها صاحبهُ كلّ اوصاف بلاد الفيوم من هيئة وصورة ومحلّ واهل وغلات الى غير ذلك من الفوائد العديدة واتَّسع في تعريف الامكنة بلدًا بلدًا على ترتيب حروف المعجم. ومن خواصّ هذا الكتاب وصف بلاد وقرى واديرة كثيرة عفا اليوم